كيف توجه المعارف في الاقطار الاسلامية

تأليف

ابو الحسن علي الندوي

الطبعة الرابعة

١٣٧٥-١٩٥٦

المطبعة الاسلامية ـ بغداد
تلفون ٥٩٤٥

الجهة الاقتصادية

وأما من الجهة الثانية وهي الجهة الاقتصادية فقد زاد التعليم في البطالة والعطلة وزاد الى مشاكل الشعب القديمة مشكلة جديدة وهي مشكلة وجود فوج من العاطلين الذي لايجدون لهم حرفة ما ، ذلك لأنهم لايحسنون غير القراءة والكتابة البسيطتين أحيانا والراقيتين أحياناً اخرى ، والحكومة عندها كمية محدودة من الوظائف لاتستطيع طبعا أن توظف كل متخرج أو تشغل كل متعلم وأصبحت مسألة بطالة المتعلمين في أكثر البلاد الراقية أزمة شديدة لا تجد لها حلا وقد شغلت من جهودها وميزانيتها نصيباً كبيراً .

وبهذين السببين اضطرت هذه البلاد الى أن تنظر في مسألة التعليم [illegible] فخصصت لذلك لجانا من كبار رجال التعليم وقادة الفكر [illegible] واسعة عميقة وتنظر فيها من وجهات مختلفة من وجهة العلم ومن وجهة الحياة والاجتماع ومن وجهة الاقتصاد وأصبحت ما خرجت به هذه [illegible] من النتائج وما رفعت من تقارير مكتبية ضخمة تضاهي ما كتب في فن التعليم .

وكان حلهم للمشكلة الاولى وهي مشكلة التفاوت بين الاخلاق والعلم حلا ضعيفا جداً ليس بالعلاج الحاسم للداء ذلك أن المشكلة التي كانوا يواجهونها ويطلبون لها حلا هي مشكلة طريفة معقدة وهي أنهم لاحظوا أن المعلومات لاتزال تتضخم وتتسع عند الطلبة والمتعلمين عن طريق التعليم وعن طريق المجلات والصحف ووسائل الثقافة الاخرى حتى أصبحت كمية فائضة من المعلومات قد لايحتاج اليها الطالب مدة حياته ولا ينتفع بها الشعب في حاجاته وبالعكس من ذلك لاتزال الدوافع والبواعث النفسية التي تدفع بصاحبها الى العمل بما يعلم والقيام بالواجب وعمل البر والاجتناب عن الاثم ، ولا تزال هذه الدوافع تضعف وتضمحل حتى فقدت في الأخير بتاتاً وأصبح الانسان المثقف يعلم كل شيء ولا يعمل بشيء ، يعلم البر ولا يعمل به ، ويعلم الاثم ولا

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف توجه المعارف فى البلاد الاسلامية

لقد كثر الحديث عن المعارف فى كل بلاد وأصبح الشغل الشاغل للناس ، واقرأ كل يوم حديثاً عن المعارف لا يخلو من القيمة والفائدة وألاحظ نشاطاً وحياة في قسم المعارف وعناية زائدة بكل ما يقال في هذا الموضوع ، وذلك يبشر بمستقبل حسن ، فان المعارف مركز الأعصاب فى البلاد وبيدها وحدها توجيه الامة التوجيه العقلي والخلق والديني .

قصور المعارف فى مهمتها

ولكن مع الأسف أرى ان النظر الى المعارف فى الأقطار الاسلامية وتناول المتحدثين عنه بالموضوع قاصر ومحدود جداً ، فالمعارف عند من يتكلم عنها كانت بسيطة لا تجاوز فن القراءة والكتابة مع ان المعارف فى العصر الحاضر قد تنقلت من هذا الطور منذ زمن وأصبحت الشعوب غير مقتنعة بمحاربة الامية فقط ونشر فن القراءة والكتابة وقد رأى رجال الفكر والقائمون على البلاد أن وجود طبقة تحسن القراءة والكتابة لا يغنى عنهم شيئاً ولا يحل مشاكل حياتهم ولا يكون العنصر الصالح للمدنية سواء من جهـــة الأخلاق والتربية ومبادىء الانسانية أو من جهة المعاش والاكتفاء الذاتي .

الجهة الخلقية

أما من الجهة الاولى فقد رأوا أنه وجد نوع من الناس يستحق أن يسمى « الحيوان المتعلم » لا يمتاز عن سائر الحيوانات ـ فضلا عن غير المتعلمين ـ في أخلاقه ونزعاته وتصرفاته وعبادة الذات وتهالك على الشهوات وتجاوز حدود القانون والفطرة فى بعض الأحيان في قضاء مآرب النفس والمكر والزور وغير ذلك مما ينافى العلم والشرف .

الشعب فادخلوا الصناعات في مناهج التعليم وألزموا تعليم كثير من الحرف وتقدموا خطوة اخرى هي خطوة جريئة حقا وبدعة في نظام التعليم وهو انهم جعلوا الصناعة مركزاً للتعليم وجعلوا بعض الصنائع أو حاصلات البلاد محوراً يدور حوله رحى التعليم ، فمثلا جعلوا القطن مركزاً للتعليم فى دورة تعليمية تدور حولها دراسة التاريخ والجغرافية واللغة واجتهدوا آن تكون منتجات هذه المدرسة هي التي تقوم بنفقات هذه المدرسة فتكون هذه المدرسة مكتفية بذاتها تكفل نفسها . وهذه التجربة جارية في البلاد ولا يمكنني أن أتكهن عن مستقبل هـذا الاسلوب التعليمي ومقـدار نجاحه إلا انه اذا نجح يساعد كثيراً في حل مشكلة البطالة .

أما خارج دائرة التعليم فقد أوجدوا وظائف كثيرة وجعلوا للمتعلمين من الاستحقاق أكثر مما كانوا يتمتعون به ولا يزالون فى حاجة فى حل مشكلة البطالة الى صرف عناية المتعلمين في قسم الأدب والفلسـفة والتاريخ والعلوم النظرية الاخرى إلى قسم الصنائع والعـلوم الطبيعية وتعـلم العلوم العملية التي يعيشون بها وكذلك صرف المتعلمين من الاهتمام الزائد بالتعليم العالي والتهالك على التعليم الجامعي فان في البلاد أهلية محددة لشغل المتخرجين من الجامعة خلافاً للمتوسطين فى التعليم فان لهم مجالا أوسع ودائرة أفسح ووجود عـدد هائل من الجامعيين ولو كان رمزاً لتقدم البلاد فى الثقافة والتعليم العالي ولكنه مشكلة اقتصادية كبيرة لا يسهل حلها !..

مسألة التعليم فى الأقطار الاسلامية

هنا تنتهي مسألة التعليم البلاد التي ليست لها صبغة خاصة دينية أو تاريخية فهذه مسألتها وهذه مشاكلها وهذه حلولها وأينما تنتهي مسألة التعليم فى البلاد العامة من هنا تبتدىء مسألة التعليم في البلاد الاسـلامية فنهاية التعليم في البلاد العامة بداية التعليم فى البلاد الاسلامية ومسألة التعليم فى البلاد الاسلامية مسألة

ينتهي عنه ، يعلم ان الرشوة قبيحة عرفاً وخلقاً وديناً وهو يتعاطاها ، ويعلم ان الخمرة مضرة طبعاً وممقوتة عرفاً ومحرمة شرعاً وهو يسرف فيها ، ويعلم ان الاحتكار أو المعاملة في السوق السوداء جريمة وخيانة للشعب ومخالفة للقانون ثم يلج بها ولا يتركها ،،

، ويعلم ان الاعتدال في كل شيء خير وهو أبعد الرجال عن الاعتدال ، يسرف في النوم وفي الاكل والشرب واللهو وفي اللعب والانفاق وغير ذلك كان أمره فرطا ...

هذه هي أزمة التعليم الحاضر في البلاد الراقية المثقفة التي فشا فيها التعليم شوطاً غريباً وارتفع مستوى العلم ، وأصبح رجال التعليم في حيرة عظيمة شديد وزاد في مشكلتهم أنهم لايملكون القوة الروحية والوسيلة التي يوجهون بها القلوب ـ وهي مصدر الايمان والاذعان ـ كما ملكوا الوسيلة التي يوجهون ـ زعموا ـ بها العقول وآخيراً انتهوا الى ان تعليم القراءة والكتابة ونقل الفرد أو الشعب من الامية الى التعليم لايكفي ولا ينتجع حتى يكون معه شعور المدنية والمبادىء الانسانية أو الوعي المدني بالاختصار ووجهوا بعض عنايتهم الى ذلك عن طريق الدروس والمحاضرات والتمثيل والروايات إلا أنهم لم ينجحوا في مهمتهم حتى الآن بل لا يزال الوعي المدني يضعف ويخمد في أرقى البلاد المتمدنة يظهر ذلك من زيادة عدد الجنايات وازدحام القضايا الجنائية تشغل المحاكم وتقارير عن الجنايات السنوية والنصيب الاكبر فيها المتعلمين والتبعة الكبرى فيها على السينما والروايات الغرامية والبوليسية والأدب المكشوف .

أما المشكلة الثانية وهي مشكلة البطالة وعطلة المتعلمين فقد نجحوا في حلها نجاحاً ما وقد عملوا لذلك في دائرة التعليم وفي خارجها .

أما في دائرة التعليم فقد سبكوا التعليم سبكاً جديداً يؤهل المتعلم لكسب قوته وكفالة نفسه ويمنعه من أن يكون عضواً عاطلا في المجتمع وكلا على

المقررة فى البلاد الأجنبية أو الكتب الخالية من روح الدين على علاتها وطبقت نظام اوربا او بلاد اخرى فى التعليم فى بلادها أو أدخلت عليه شيئا من التعديل وقد دفعت لهذا التعليم وما جنت منه من فوائد مادية قيمة غالية جداً في الأخلاق والروح والعقيدة وقد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة على أن خسارة الامة والبلاد في هذا النظام التعليمي وفى هذه المعاهد ودور التعليم الحديث التي تسميها فى بلادنا الهندية ـ الكليات الاسلامية ـ و ـ الجامعات الاسلامية ـ كانت اكبر من ربحها فقد استنفد دعاة التعليم العصري الحديث جهودهم وأموال المسلمين في إنشاء هذه المدارس وإقامتها وإستخلصوا لها أفلاذ اكباد المسلمين وخيرة شبابهم فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة واضطراب وتناقض في الافكار والاراء وشك وارتياب في الدين واستخفاف بفرائضه وواجباته وثورة على الآداب والأخلاق وضعف وانحطاط في الأخلاق والسيرة وتقليد للاجانب في القشور والظواهر وتبذير للاموال الى غير ذلك مما أصبح به هذا الجيل كلا على الآباء وعلى الامة وجرثومة الفساد فى جسمها ونقطة الضعف فى مركزها .

منهاج التعليم الاسلامى

يعلم المطلعون على حقائق العلوم وفلسفة التعليم ان للعلوم والكتب روحاً وضميراً كالكائنات الحية وهو باطن هذه العلوم والروح السارية في الكتب والعلوم التي أنشأها الاسلام وصاغها في قالبه قد سرت فيها روح الايمان بالله والتقوى والخشية لله والفضيلة والايمان بالآخرة والعلوم التي وضعها اليونان أو رتبوها اشتملت على خرافاتهم وعلى روحهم الجاهلية وكذلك العلوم التي دونتها امم اوربا الملحدة والكتب التي ألفها ادباؤها وفلاسفتها قد سرى فيها الالحاد والجحود، والايمان بالماديات والمحسوسات فقط وقلة التقدير مما لايأتي تحت الحس والوزن والعد والتجربة ومن الأخلاق مالا يحصل له لذة أو نفع

مستقلة قائمة بذاتها لأن الامة الاسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها ، هي أمة ذات مبدأ وعقيدة ورسالة ودعوة فيجب أن يكون تعليمها خاضعاً لهذا المبدأ والعقيدة وهذه الرسالة والدعوة وتكون اداة لانشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ وتدين بهذه العقيدة وتحمل هذه الرسالة وتؤدي هذه الدعوة وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب أو يغدر بذمته ويخون في أمانته فليس هو التعليم الاسلامي بل هو التعليم الأجنبي وليس هو البناء والتعمير بل هو الهدم والتخريب وأولى للبلاد الاسلامية أن تتجرد منه وتحرم من ثمراته المادية فالامية خير لها من هذا التعليم الذي يرزأها في طبيعتها وعقيدتها وروحها .

إذاً فمهمة التعليم في البلاد الاسلامية مهمة عسيرة معقدة ليست من السهولة بالمكان الذي يتصوره رجال التعليم في بلادنا انه ليس مجرد تعليم العلوم والفنون واللغات وطنية وأجنبية وآداب أهلية وأوربية ، بل هو انشاء جيل جديد إنشاءاً فكرياً خلقياً روحياً ممتازاً وذلك لايتم بترجمة الكتب وجلب الأساتذة من الخارج وانشاء عدد كبير من الكليات والجامعات وإرسال بعثات من الطلبة الى أوربا وأمريكا إنما يحتاج الى شيء كثير من النبوغ والابتكار وشيء كثير من التأليف والانتاج فان هذا التعليم يطلب منهاجاً دراسياً خاصاً لايوجد الآن كاملا في آي بلد من بلاد الاسلام فضلا عن بلاد الأجانب .

وكلما استعير منهاج من بلاد غير اسلامية أو اختيرت كتب وضعت في بلاد غير مسلمة وبناشئة غير مسلمة كان هذا المنهاج وكانت هذه الكتب قلقة نابية لاتفي بالغرض ولا تساعد في المطلوب ويكون الصراع مستمراً بين الفكر الاسلامي والروح الاسلامي وبين العقلية الجديدة والنفسية الجديدة التي تنشأ بتأثير هذه الكتب ومفعول هذا النظام التعليمي وهذا الصراع ليس أقل شؤماً لهذه الامة ولا أقل جناية على حياتها وسلامها من صراع الدين والسياسة والعقل والديانة في أوربا في قرونها الوسطى وقد تجلى هذا الصراع وعنف استفحل في جميع الأقطار الاسلامية التي آخذت العلوم الغربية برمتها والكتب

الاسلامية والذوق الاسلامي وتعليم اللغة والأدب له تأثير كبير في تكوين العقليات فتقويم الأخلاق كما يعرفه العارفون .

وهكذا يجب أن تخصص لجان للتأليف في الجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية فتضع كتبا تشتمل على أحدث المعلومات مع الروح الدينية والنتائج الدينية فيخرج الطالب من كتب الجغرافية مؤمناً بان هذه الأرض التي ولد عليها والكون الذي يعيش فيه منتظم متسق وان خالقه حكيم خبير ويهتدي من المخلوقات الى الخالق ومن المعلومات الى التفكير ومعرفة الله وذكره والتسبيح بحمده ...

وكذلك التاريخ يعرف أن لله سنناً لاتتغير وأياماً في خلقه وان لحياة الامم تقدمها وتأخرها وعثارها ونهوضها قانونا معقولا وان كل أمة حادت عن السبيل وثارت على القوانين الالهية التي ذكرها القرآن والأخلاق الفاضلة والنواميس العادلة عوقبت عقوبات في الحياة الدنيا ومحيت من الوجود .

وكذلك العلوم الطبيعية ترتبها ترتيباً جديداً وتستنتج منها نتائج دينية مهمة جداً وتستخدمها لاثبات الدين وتعزيز العقيدة الاسلامية وخدمة المجتمع الاسلامي كما اتخذها الملحدون والمفسدون في الأرض أداة إلحاد وإفساد وهذا ميسور للعلماء الذين يجمعون بين معرفة روح الاسلام والتعمق في هذه العلوم والتوسع في دراستها والابتكار .

المواد الدراسية الهامة

القرآن الكريم

ولا بد هنا من الارشادات الى بعض المواد الدراسية التي يقل الاعتناء بها في نظامنا التعليمي وهي في المكانة الاولى من الأهمية والتأثير في النفوس :

أولها : القرآن الكريم فهو أقوى شيء في تكوين العقول والأخلاق والنفوس وهو الكتاب المعجز الذي أحدث اكبر إنقلاب في تاريخ البشر وهو

محسوس وسرت هذه الروح في علومهم وفلسفتهم وأدبهم وشعرهم وقصصهم وتمثيلهم فلا يكون من الحكمة التعليمية ومن النصح للمسلمين نقل هذه العلوم والكتب المؤلفة فيها الى النشء المسلم بروحها وضميرها بل يجب أن تدون هذه العلوم من جديد تدويناً إسلامياً وتؤلف فيها كتب مبتكرة وتشبع بالروح الدينية وتستخرج منها نتائج لاتعارض الدين بل تؤيده وتبعث اليقين والايمان ، وهكذا يجب أن تعمل مع التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية فلكل منها اتصال بالدين وكل منها مؤثر في الدين .

والحاصل إننا في البلاد الاسلامية في حاجة ملحة الى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع والسبك والترتيب لايخلو كتاب من الكتب التي تعلم مبادىء اللغة الى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية أو الآداب الانجليزية من روح الدين والايمان ، هذا اذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الاسلامي ويكتب بقلم مسلم ويعمل بروح مسلم ويدير دفة البلاد بسيرة مسلم وخلقه ويدير سياسة التعليم والمالية بمقدرة مسلم وبصيرة مسلم وتكون البلاد الاسلامية إسلامية حقاً في عقلها وتفكيرها وسياستها وماليتها وتعليمها .

إذاً فوضع هذا المنهاج التعليمي من حاجات البلاد الاسلامية الاولى التي لا يسعها التغافل عنها والتساهل فيها وهو عمل شاق وواسع يأخذ وقتاً طويلا وليس عمل فرد من الأفراد أو حفنة من الناس إنما هو عمل تقوم به جماعات ولجان ومجامع علمية بمساعدة الحكومات الاسلامية وتشجيعها ويسند كل جزء من هذا الانتاج العلمي الى جماعة تتوفر فيها مؤهلاته ، فلا تقوم جماعة التأليف سلسلة كتب تعلم مبادىء اللغة وكتب تعلم اللغة والأدب ... حتى تضع كتباً تجمع بين المادة اللغوية والمعلومات اللازمة ولا يخلو درس أو مجموع الكتاب من روح الدين ، وهكذا في تعليم اللغة والأدب الى أن يصل الطالب الى دراسة المصادر الأدبية وكتب الأوائل فيكون تعليم اللغة والأدب في مراحله الاولى والوسطى مساعداً ومتسقاً مع نظام التعليم في تكوين العقلية

والصحابة رضوان الله عليهم ، تاريخ إيمانهم ومحنتهم وحسن بلائهم وتاريخ جهادهم وفتوحهم وزهدهم واستقامتهم وهو تاريخ يملأ القلوب إيماناً وحماسة ويبعث على التقليد لأنهم كانوا من عامة البشر وكانوا نتيجة الايمان بالدين وإتباع الرسول فقط ويرفع مستوى الانسانية من المادة والأغراض الى التجرد من الآنانية والتفاني فى حب الرسول والتضحية والايثار والوفاء ليس فوقها درجة فليكثر من تدريس كتب التاريخ وليكثر من دراسة الحوادث والحكايات فان للحوادث والحكايات تأثيراً ليس للمنطق والبرهان والمقالات العلمية .

التربية المعنوية

هذا ما أردت أن أقوله في منهاج التعليم والمواد الدراسية وهنا كلمة عن التربية :—

إن التربية لا تقل أهمية عن التعليم واذا خلا التعليم عن التربيـــة أصبح بلا نتيجة فى اكثر الأحيان ونقصاً فى ناحية التربية ليس بأقل من نقصنا وفقرنا فى ناحية التعليم ومنهاج دراسته .

وموضوع التربية موضوع واسع طويل الذيل وكثير الشعب والنواحي وإنما أشير هنا الى نقطة مهمة :

رسالة المسلمين وسيادتهم

فيجب أن يفهم طلبتنا غايتهم ورسالتهم وليعرفوا أنهم يتعلمون ليستحقوا سعادة الدنيا والآخرة وينقذوا أنفسهم وأهليهم من النار وسخط الخالق والحياة الجاهلية ويخرجوا الناس من الظلمات الى النور ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا ومن جور الأديان الى عدل الاسلام وانهم ورثة الأرض اذا صلحوا خلقت لأجلهم الدنيا وكتب لهم العلو والسيادة والناس لهم تبع وانهم فى الأصل مسلمون عاملون دعاة الى الله والى دار السلام وكل شيء في حياتهم

الكتاب الخالد الذي لم تخلق جدته ولم تبل نضارته وهو الكتاب المدهش الذي يستطيع أن يحدث إنقلابا جديداً في المجتمع والحياة ان وجد طريقا الى القلوب فليكن له القسط الأوفر والنصيب الاكبر في دراستنا ولتكن هذه الدراسة مجردة بقدر الامكان فيدرس متنه درساً لا يغلبه النقاش والبحث ولا يشرح تشريحا كتشريح الأجسام بحيث يحتجب جماله وتتوارى قوته ولا ينبغي المعلم أن يحول بين الطالب وبين القرآن ويقف بينهما كرجل يقف بين المرآة والطالع فيها بل يدعه يتذوق القرآن تذوقا وتتلذذ به روحه وتمتلىء به نفسه ويشير الى مواضيع العبرة والتفكير ويساعده مساعدة لغوية فقط.

السيرة النبوية

والمادة الاخرى التي هي في الدرجة الثانية من الأهمية والقوة هي السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام وهي أجمل شيء في الوجود وهي التي تشق طريقها الى القلوب بغير شفيع ووسيط وتلتصق بالنفس فيحب الرجل هذه الحياة الفريدة ويحب صاحب هذه الحياة - بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم - الذي كان أروع آية لله تعالى في جمال الخلق والخلق ومعجزة كاملة تشتمل على المعجزات بقدر أيام حياته وأخلاقه وكلماته فيحب الاسلام لأجله ولما رآه في شخصيته وسيرته من العدل والعقل والفضل والجمال فليكثر من درس السيرة مهما أمكن ولا أعني من كتب السيرة هذه الفهارس العقيمة التي وضعت للطلبة وطلب منهم حفظها واستحضارها ولا تشتمل إلا على السنين والأعداد وأسماء الغزوات والحوادث المهمة إنما أعني كتب السيرة التي تملأ القلب مهابة وجلالا ومحبة وإيمانا فينبغي أن لا يخلو معظم الفصول من درس كتاب مؤثر في السيرة.

تاريخ الصحابة

والذي يلي السيرة النبوية في التأثير والقوة هو تاريخ الخلفاء الراشدين

لا تحافظ على وجودها وعلى مبدأها وعقيدتها وإن موقف المدافع موقف الضعيف المعرض للخطر وكل من لايكون داعياً يكون هدفاً لدعوة آخرى. وقد ثبت بالتجربة إن خير وسيلة للايمان بالمبدأ والثبات عليه ومتانة العقيدة والاستماتة فى سبيلها هي الدعوة اليها فالداعي دائما قوي الايمان بمبدئه متحمس فى عقيدته ونشيط فى عمله مستهين بغيره فاذا أدرنا أن نخلق فى طلبتنا هذه الصفات وأن يخرجوا من الخطر على دينهم ونأمن عليهم الاندماج فى غيرهم والوقوف فى المعسكر المخالف فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة فاذا أردنا أن نجعلهم متدينين فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة الى الدين وقد جربنا ذلك في الهند فنجحنا نجاحا باهراً فطلبة كليات الحكومة والكليات المختلطة لما خرجوا في القرى والضواحي يدعون الى الله ويلقنون المسلمين مبادىء الاسلام ويوقظون فيهم روح الدين رأينا الحماسة الدينية فيهم تزداد اشتعالا كل يوم وروحهم تقوى وهم فى تقدم مطرد فى الديانة والصلاح حتى فاقوا فى حماستهم الدينية ونشاطهم وإيمانهم بالدين بل فى الجرأة الدينية على أبناء المدارس الدينية العربية التي لايختلط طلبتها بغير المسلمين ولا يقرأون العلوم العصرية والسر فى ذلك هو لدعوة التي تجعل من الرجل غير الرجل ومن القلب غير القلب.

وبهذه الدعوة والرحلات فى سبيلها والاختلاط بالشعب على اختلاف طبقاته نتمكن محاربة داء شديد حل جديداً بدور التعليم ورجالها وهو العزلة عن العالم الذي يعيشون فيه والانقطاع عن الامة التي هم من أفرادها فقد أصبحت المدارس في حياتنا جزراً صغيرة منفصلة عن الخارج والناس الذين يتخرجون منها يكونون جزراً صغيرة اخرى فكل فرد منهم جزيرة مستقلة يعيش في عالم الخيال ويسبح في فلكه الخاص وله دائرة من الاصدقاء والاخوان لايتجاوزها ولا يعرف من آلام الامة وآمالها شيئا حتى أصبح العالم فى واد وهو فى واد وأصبحت الفجوة والفجوة تتسعان على مر الايام حتى أصبح المتعلمون امة مستقلة لها لغتها وثقافتها ونفسيتها لا يفهمها الشعب.

فرع ووسيلة وآلة وليست غايتهم الوظائف (وإن كانوا يشغلونها بأهلية ويقومون بها بأمانة ونشاط) ولا المهن والحرف (وإن كانوا يباشرونها بيقظة وكفاءة) ولا الراحة والدعة والمجد (وإن كانوا يتمتعون به في حل وفي إعتدال) وإنما غايتهم حسن العمل وتقوى الله وإتباع رسوله والاستعداد للآخرة والدعوة الى الله يستعملون لذلك جميع مواهبهم ويركزون فيه قواهم وجهودهم ويعملون لذلك على اختلاف أذواقهم وفنونهم ومهنهم وفرصهم .

ثم ليعرفوا كرامتهم وقيمة علمهم ولا يهينوا أنفسهم ولا يبيعوها بيع السلع وبيع المناداة (بالمزاد العلني) فيبيعوا أنفسهم بكل من يقومها ولكل من يزيد في الثمن ، كائنا من كان وليحاربوا مركب النقص في نفوسهم وليذكروا قول الشاعر العربي حاتم الطائي :

ونفسك أكرمها فانك إن تهن ... عليك فلن تلقى من الناس مكرما

وقول الطغرائي :

غالى بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

فلا يضعوا أنفسهم إلا أشرف موضع يقدرون عليه من غير تكبر ولا أنانية ولا يستعملون مواهبهم إلا في الوجه الذي يليق بها ويعتزوا بدينهم ولا يخجلوا من الظهور به والانتساب إليه والقيام بواجباته ، ولهم عبرة في كثير من كبار رجال العصر الذين فاقوا الاوروبيين في ثقافتهم وأدبهم ودراستهم وباهدوا بالدين وانتقدوا الحضارة الغربية في شجاعة وصراحة وظهروا في مظاهر الدين .

التشبع بروح الدعوة والاختلاط بالشعب

ثانياً - إن النقطة المهمة الثانية : التشبع بروح الدعوة والاختلاط بالشعب، وقد ظهر إن أمة أو جماعة ليس فيها روح الدعوة والتقدم والهجوم

تقدم اهتمام زائد بالرياضة البدنية والجري والسباق وركوب الخيل والسباحة والمصارعة والملاكمة .

أما نحن فلم نأخذ منهم إلا كرة القدم والالعاب فعلى المعارف في البلاد الإسلامية ان تعير الرياضة البدنية وتربية الاجسام والفروسية قسطا لائقا من عنايتها واهتمامها وتقيد المدارس والكليات بالاعتناء بهذا الشان حتى ينشأ جيل متوفر العلم سليم العقل قوي الجسم قوي الايمان وهو الذي يستطيع وحده ان يؤدي رسالة الاسلام والعلم والفضيلة ويشق طريقه في الاشواك والاخطار فالحيـاة ليست روضة من الرياض ولا نوعا من العبث إنما هي جد وكفاح لايثبت فيه إلا الشديد القوي .

مسألة المتعلمين

ولكن كما قلنا في التعليم والتربيـــة يتوقف بحاجة على وجود معلمين يؤمنون بهذه المبادىء والعقائد والغايات ويخلصون لها كل الاخلاص ويدعون اليها بإيمان وحكمة وتكون حياتهم خير مثال لما يدعون اليه .

ووجود مسلم يعارض هذا النظام بفكره وعمله او غير مؤمن به غير مخلص له كوجود لوحة نخرة في سفينة في عرض البحر . ومعول هدام في بناء شامخ ولا ينجح نظام تعليمي ولا يؤتي أكله مهما كان كاملا محكما اذا كان المعلمون مذبذبين متناقضي الفكرة لاتتفق حياتهم مع رسالة الدين والعلم .

إذاً فمسألة إختيار المعلمين ليست بسيطة سهلة كما يظن كثير من رجال المعارف ليس إشاعة العلم وحده والمقدرة التعليمية والمؤهلات العلمية فحسب بل يجب ان تكون للسيرة والخلق والمبـدأ والغاية والايمان والعقيدة المكانة الاولى والأهمية الكبرى في اختيار المعلم .

ويجب ان تكون هذه العقيدة متغلغلة في الاحشاء قد ملكت عليه فكره

ولا يعرفها وأخاف أن يحتاجوا بعد أيام الى ترجمان على وحدة الامة [illegible] والوطنية والمدنية .

وأصبح الناس ينظرون اليهم كأجانب ويحق لهم أن ينظروا وأصبحوا ينظرون الى الناس كأميين ومنحطين في العقل والثقافة والحضارة .

وهكذا تتسع الهوة بين الطبقة المثقفة ودهماء الناس ، وليس ذلك من مصلحة أحد منهم ولا تنهض امة ولا تعيش على مثل هذه الحال من الفرقة والانفصال . وبكثرة اختلاط الطلبة بالشعب في طريق الدعوة الدينية والتعليمية والاصلاحية وبكثرة ترددهم الى القرى والضواحي والمدن عصابات وجماعات بشكل منظم وتحت اشراف الاساتذة تنشأ في الطلبة روح الدين والجهاد والكفاح في سبيل الحياة . ويتعودون على الشدة والغلظة في العيش وتنشأ فيهم كذلك روح الاخوة الصادقة والمحبة المخلصة وروح الجماعية والايثار ويعرف بعضهم بعضا ويخدم بعضهم بعضا ويعرفون [illegible] وحياة القرى والبادية ويعرف الطلبة الحقل الذي سيعملون فيه ويعرف أهل البلاد دعاتهم ومرشديهم ومعلميهم الذين سيساعدونهم ويأخذون بأيديهم الى غير ذلك من الفوائد التي لاتعرف إلا بالاختبار والتجربة .

التربية البدنية

وكلمة موجزة عن التربية البدنية والرياضة التي اهملها التعليم والتربية في بلادنا حتى نشأ شباب مخنث رقيق ضعيف لاصبر عنده ولا جلد ولا تماسك ولا ثبات ولا غلظة ولا قوة وقد انحطت الشعوب الاسلامية في العهد الاخير في فروسيتها واجسامها انحطاطا مفزعا يهدد بخطر عظيم .

وقد قلدنا الغربيين ـ او حاولنا ان نقلدهم في كل شيء إلا في الاهتمام بالجسم والرياضة البدنية وتربية الفروسية والبطولة هؤلاء الانجليز والامريكان

ومشاعره وجعلت منه داعية لا يمل ولا يكل ومؤمنا لا يرتاب [illegible] وذلك هو مثيل المعلم الكامل الذي يسعد به نظام التعليم ويؤدي مهمته بنجاح وسهولة .

أما بعد فاني لا اعرف امانة اكبر مسؤولية ولا اشد خطرا واعمق اثرا في مستقبل الامة وحياتها من المعارف فزلة من زلاتها قد تردي امة بأسرها في هاوية وقد تودي بها الى الاضمحلال والتفسخ والفوضى في الأخلاق والاجتماع والسياسة والتعليم واللادينية والالحاد كذلك يمكنها وحدها أن توجه العقول والنفوس توجيها صالحا وتنشئ الامة نشأة جديدة وتبني لها مستقبلا باهرا وليس من الشرف والرجولة الفرار من هذه المسؤولية الشريفة بل الشرف والرجولة وعلو الهمة الاضطلاع بهذا العبء الذي ألقته الامة على كاهلها وان تساهم في نهضة الامة بالقسط الأكبر بل تضع اساسها الذي سيقوم عليه بناء المجتمع .